تشكيل

فاز الخطاط الإماراتي محمد عيسى خلفان بجائزة العويس للإبداع الـ22، في مجال الخط، ويستقي الفنان نصوص لوحاته من القرآن والحديث الشريف والحكم والشعر.

تحتضن شفشاون المغربية من 12 إلى 14 يونيو الجاري، الدورة الثالثة لمهرجان شفشاون الدولي للتصوير الفوتوغرافي، تحت شعار «عالم واحد، رؤى متعددة».

يشارك الفنان التشكيلي السعودي الرائد أحمد فلمبان كضيف شرف عالمي في بينالي نيمي الدولي بروما 2015، الذي تتواصل فعالياته حتى نهاية شهر يونيو الحالي.

تغريد درغوث ترسم الآلام الإنسانية من عيون اللوحات

● فنانة تضفي على الأسود جدية عارمة ● نص فكري من سلسلة لوحات مبتكرة

تتميز لوحة الفنانة التشكيلية تغريد درغوث (1979) بأنها لوحة مباشرة، لها خلفية لونية شبه مسطحة وبالغة الوضوح. لا ينتقص ذلك من عملها الفني في شيء، بل يساهم في دعم نصها الفكري المركب والمغاير لوضوح الأشياء والوجوه التي ترسمها. لا بل إن هذا الوضوح الملتبس الذي ينطق بهواجسها الاجتماعية والسياسية هو أكثر ما يميز أعمالها السابقة والجديدة.

قوس قزح الموت والدمار الشامل

❑ **بيروت** - المتابع لأعمال الفنانة اللبنانية تغريد درغوث لن يجد في أعمالها ما يصعب التعرف عليه. كل شيء واضح المعالم، الأشياء التي ترسمها، ووجوه الأشخاص الذين ترسمهم في لوحاتها، وهذه النفحة العقلانية التي تشدّ الخناق على عنصر اللون في اللوحة لتجعله خاضعا لمزاجها ودقة ووضوح أفكارها.

لا لون يحلق بعيدا عن رغبة سيّدته، أي الفنانة، وهو من أكثر العناصر التشكيلية عرضة لسلطتها الناعمة، نعومة الحب حين يكون قاطعا. تقول الفنانة إن "الألوان الأقل جاذبية بالنسبة إليّ هي اللون الأزرق والأصفر"، أما بقية الألوان فمرحب بحضورها في لوحاتها، وهي غالبا ما تكوّن خلفية للأشياء والوجوه المشكلة في اللوحة.

لون واحد في خلفية اللوحة الواحدة، أصفر، أخضر، رمادي أو أحمر. هذا هو شرط الفنانة لدخول اللون إلى عالمها الفني. لا إسراف في استخدام الألوان. أغلب الظن أن لا أحد سيعثر في لوحة من اللوحات التي يشاهدها عادة في المعارض المختلفة على لونورديّ كالذي تضعه تغريد في لوحاتها. لونورديّ اقتحمه اللون الأسود فكبح من جماحه دون أن يجعله متسخا ومنفرا للنظر.

اللون الأسود في لوحاتها له حضور بارز، يدخل إلى كل اللوحات، ويتسلل إلى كل الألوان تاركا أثره البليغ الذي يضفي على الأعمال جوّا من الجدية العارمة. ربما مردّ ذلك يعود إلى تأثر الفنانة باللوحة التعبيرية الألمانية ذات الوقع الدرامي غير التراجيدي.

فن يحارب الانتهاك

اللوحات مشغولة بمادة الأكريليك وهي مادة أقل حساسية من المادة الزيتية. تقول الفنانة "مادة الأكريليك تلائم مزاجي الذي لا ينحو إلى تصوير التدرجات اللونية أو الظلال، بقدر ما يريد فرض وجود الأحجام والأشكال المحددة بصريا".

تتجاهل درغوث المبدأ التشكيلي الذي لا يحبذ وضع العنصر البصري الأساسي في وسط اللوحة تماما، إذ تضعه دائما، إن كان شيئا أم وجها، في عين اللوحة، جليا مرئيا لا لبس فيه، يصدح بحضور نافذ يستحوذ على الفضاء الكامل للعمل الفني.

> الرسامة ترفد تجربتها الفنية بقراءات شعرية وتاريخية وفكرية حثيثة، تضفي على عملها بعدا وعمقا

أقامت الفنانة عدة معارض تعرضت فيها لمواضيع اجتماعية أو سياسية شائكة، حيث تلقي تغريد الضوء على هذه المواضيع من خلال سلسلة من اللوحات المتشابهة ظاهريا والمتشعبة داخليا.

تغريد درغوث:
المنتصر في الحرب القادمة هو الذي يمتلك البصر والبصيرة

إذا عدنا إلى المعرض الذي قدمته الفنانة عن العمليات التجميلية، فإن سلسلة الحالات التي تظهرها درغوث عبر مجموعة من اللوحات المتشابهة وغير المتشابهة تصور الألم إثر هذه العمليات، تشظي الذات بعدها، نجاحها وإخفاقها، تفاصيلها الطبية الجارحة، تهشم الثقة بالذات، والرضوخ لمعايير جمالية واحدة كتعبير عن نوع من العبودية. هكذا تقرأ لوحة تغريد درغوث، تقرأ عبر سلسلة لوحات ترصد الموضوع ذاته من جوانب عدة.

تتوالى اهتمامات الفنانة البصرية المثقلة بالمعاني والآراء الشخصية المبنية على أسس إنسانية بحتة. فمن العمليات التجميلية و"فداحة" دلالاتها، إلى عرض لأسلحة الدمار الشامل، يليه معرض آخر عن الفجوات والتضاريس التي أحدثتها ولا تزال تحدثها هذه التجارب. تقول الفنانة إنها في الوقت الحالي تعمل على مجموعة من اللوحات تصور آلات المراقبة كالكاميرات والأقمار الاصطناعية. وتضيف قائلة: عنوان هذه المجموعة مستوحى من فكرة للمفكر بول فيريليو تقول إن "المنتصر في الحرب القادمة هو الذي يمتلك البصر والبصيرة".

ترفد تغريد درغوث تجربتها الفنية بقراءات شعرية وتاريخية وفكرية حثيثة، وتضفي على عملها بعدا وعمقا، إذ تقوم بنسج أواصره بمتانة بصرية بغية إيصال الفكرة إلى المشاهد.

حول معرضها عن أسلحة الدمار الشامل تقول الفنانة: أثناء قراءتي عن البرنامج النووي الغربي إبان الحرب العالمية الثانية، وخاصة البرنامج المرتبط ببريطانيا لفتت انتباهي تسمية القنابل النووية المختلفة بمجموعة "قوس قزح"، استغربت كثيرا لحظة اكتشافي أن القنابل القاتلة كان يطلق عليها أسماء لطيفة من قبيل "الأرنب الأزرق"، "الوردة الحمراء"، "العصفور الأخضر"، و"الشمس الصفراء". قوس قزح هي إذن، ولكن من موت ودمار شامل.

إشكالية المعنى

إذا ما عدنا إلى عالمنا اليوم فإن الحديث الواضح والباطني على السواء عن أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط لا يختلف كثيرا عن المنطق البصري، الملبد بالافتراضات، الذي قدمته الفنانة -أيضا عبر سلسلة من اللوحات- تصور انفجارات نووية بشكل واضح.

كل واحدة من تلك اللوحات مصبوغة بلون من ألوان قوس قزح تفشّت فيه هو الآخر بضع قطرات من اللون الأسود؛ بضع قطرات ولكن كافية لكي تسم الجوّ كله. لعل اهتمام الفنانة بهذا "اللغط التعريفي" لقبح الأشياء أو جماليتها دليل آخر على مزاج الفنانة القائم على رسم الأشياء الصامتة أو الواضحة في الظاهر، والثرثارة أو المتشعبة في الداخل.

> اللون الأسود في لوحات تغريد درغوث له حضور بارز، يدخل إلى كل اللوحات، ويتسلل إلى كل الألوان تاركا أثره البليغ

كما يدخل مفهوم التناقض إلى أعمالها من الباب العريض مغلفا بوضوح ملتبس، كما في اللوحات التي تصور العاملة المنزلية حزينة العيون وفي حضنها طفل مأخوذ بحنانها، أو اللوحة التي تظهر فيها "مريم" الصبية تحدق في مرآتها بقلق وجودي بعد "نجاح" عملية التجميل التي خضعت لها.

تختصر مجموعة الجماجم التي عرضتها الفنانة في أحد المعارض التشنج القائم بين الظاهر والباطن في مجمل لوحاتها.

الجماجم البشرية تاريخيا في اللوحة التشكيلية ترمز إلى الفناء وهباء الأشياء الدنيوية، ولكن في لوحة تغريد درغوث ينقلب المنطق إلى ضده، إذ تقف الجماجم على خلفيات ملونة حينا ومطبوعة حينا آخر بنوتات موسيقية وورود تزيينيّة. إنها الحياة المعاصرة، إنها الحياة الأزلية التي تعيد إنتاج الموت.

م.ع

تغريد درغوث تميط اللثام عن العمليات التجميلية وفداحة دلالاتها

كولاج الزمن المرّ

ميموزا العراوي

❑ تشكّل الحروب والأزمات وما تخلفه من أسى وشعور بالتخلي، المحرك لنشوء فنون وتقنيات فنية ثورية تدير ظهرها لما سبقها وإن كان لفترة محدودة، قبل أن تعود إلى مراجعتها أو حتى تبنيها، مدركة أن معنى "الظلم" الذي ثارت عليه لا يكمن في تلك التقنية الفنية أو ذلك التيار الفني، بل في الظروف الحاضنة له.

الفن التشكيلي يشبه كثيرا في ذلك، فترة المراهقة المتمثلة بسرعة العطب وسرعة ردة الفعل حين تواجه -من وجهة نظرها- شرور العالم المحيط. الفن هو المراهق الدائم الذي نادرا ما يهدأ دون أن يدمر ما سبقه حين يجده قد خرج من نطاق توقعاته أو بات سببا للألم أو الملل. هكذا نشأت تاريخيا الحركة الفنية المسماة "بالدادائية" كردة فعل على الحرب العالمية الأولى، التي أبلغ ما قيل فيها أنها "فقدان البراءة الجماعية".

اعتمدت الدادائية على عملية فنية ثورية مسماة "بالكولاج". جاءت هذه التقنية انطلاقا من رغبة في تدمير فكرة الجمال في العمل الفني، هذا الجمال الذي سحقته حقيقة الحروب.

تتمثل هذه التقنية في إدخال مواد غير تقليدية آنذاك إلى فضاء اللوحة التشكيلية مثل قطع الخشب المهملة، والمعادن الصدئة، وخاصة قصاصات ورق الجرائد التي كانت لها الأهمية الكبرى إذ جرى استعمالها بطرق عديدة تتنوع وفق مزاج الفنان.

باتت الكلمات المطبوعة ورمادية اللون والمرفقة بالصور الباهتة والمرهونة بحياتها القصيرة التي نادرا ما تتعدّى اليوم الواحد، هي المادة المفضلة لدى الفنانين. منهم من عمد إلى تمزيقها ولصقها عشوائيا على اللوحة ومن ثم رشها بالألوان النارية أو "الدخانية" المتصاعدة من الأبنية المقصوفة بالطيران. ومنهم من أعاد ترتيبها لتكون ساخرة وصانعة لبشاعة ممنهجة تسخر من كل ما اعتبر جميلا قبل الحرب.

في المنطقة العربية الآن، حيث الحروب والتمزّقات الأكثر عنفا برز فنانون كثر مخضرمون وشباب اعتمدوا الكولاج في استخدامهم لورق الجرائد. أسلوبهم جاء مختلفا ومشربا بمشرقيتهم المثمنة لجمالية الخط العربي والتجريد الغنائي.

منهم من أدخل الجريدة كعامل بنائي يرافق عناصر أخرى في اللوحة، كدلالة على أهمية الصحيفة اليومية في حياة الإنسان العربي، كما هو الحال في أعمال الفنان نزار عثمان.

بعض الفنانين تعاملوا مع "ممزقات" الجرائد كأبجديات رصاصية، ترتفع كالهواء الساخن المنبعث من الحرائق، في فضاء اللوحة أو "تتصلب" في وسطها معلنة مصداقية فظاعتها المطلقة، من هؤلاء، الفنان ألفريد طرزي.

أما الفنان شادي أبوسعدة فقد عمد إلى إدخال قصاصات الجرائد في لوحاته لتكون جدرانا تمنع انهيار الزمن، وتعلن أن أبطال لوحاته هم صناع الحدث، أو هم شغله الشاغل.

توجد أيضا تجربة فريدة للفنان العراقي محمد قريش الذي أعطى لقصاصات الجرائد في لوحته عصفا جماليا من الحروف العربية، أضافت إلى مضمون لوحته نفحة صوفية خارج الموت القائم.

هناك أيضا الفنان الفلسطيني علي الكفري، الذي استخدم أوراق الجرائد بصورة "كيميائية" إذا صح التعبير، لتكون دعامة حسية لعناصر لوحته المشغولة بالتعبير عن الموروث الفلسطيني.

ويعمد الفنان إلى قص الصور أو الكلمات ليضع عليها لاصقا ابتكره هو، ثم يضعها على سطح اللوحة، لينزع ورقة الصحيفة بعد مرور زمن فتبقى الصور أو الكلمات مطبوعة على قماش اللوحة.

يعبر الورق فضاء الفن العربي الحديث، يدخل إلى عوالم الفن المفهومي من خلال أعمال الفنان بلال طه الذي فرّغ ورق الجرائد من محتواها تاركا بضعة أحرف، ليؤكد أنه ما من قراءة واحدة لنص واحد، لا قراءة واحدة لعالم غارق في الأوهام والجرائم المتخفية تحت ذرائع واهية.

يحمل ورق الجرائد هشاشة الوجود، يدسها في قلب الأعمال الفنية في محاولة لإيجاد صيغة قراءة، تضع هذه الهشاشة التي غالبا ما تكون مدججة بالفظاظة والقسوة في مجال اللوحة كي تصبح قابلة للفهم وللاحتمال.

* ناقدة من لبنان